

Jerusalem Visual Drama in the East and West

Abdallah Marouf Omer
Istanbul 29 Mayıs University, Turkey
a.omar09@gmail.com

Arrival date: 2017-12-04 Acceptance date: 2018-03-29

Abstract

The television and the cinema are considered two of the most important tools for creating stereotypes and shaping public awareness of current issue. When it comes to Jerusalem, a typical image of this holy city that is widely spread in western media almost contradicts that presented by the eastern media This paper studies the image of Jerusalem in Eastern and Western media. Some of the effective drama makers have been chosen for this study, namely, American Turkish, Egyptian and Syrian drama producers. Cases of each one of the above-mentioned dramatic works have been studied and compared with the historical and current reality in Jerusalem, in order to study how these work shape the image of the holy city. Five dramatic works that cover two important historical periods in the history of Jerusalem, namely the Crusades and the current Israeli occupation, have been selected for this study. Works that represent the Crusades include the American movie Kingdom of Heaven, the Egyptian movie al-Nasir Salah al-Din and the Syrian Tv Series Salah al-din Ayyubi. As for this current situation in Jerusalem, the American Movie Word War Z and the Turkish movie Kurtlar Vadisi Filistin (The Valley of the Wolves Palestine) have been studied.

Keywords: Jerusalem, Drama, Crusades

القدس في الدراما المرئية بين الشرق والغرب: دراسة نقدية¹

أستاذ دراسات بيت المقدس، وأستاذ التاريخ الإسلامي المساعد في جامعة إسطنبول 29 مايو التركية.
د. عبدالله معروف عمر

ملخص:

لا يخفى على ذي لب كون التلفزيون والسينما تتربع اليوم على مساحة لا بأس بها من تشكيل الوعي الجمعي تجاه قضية معينة، ذلك أن هذه الوسائل الإعلامية أصبحت تنافس وسائل تناقل المعلومة وتشكيل الوعي التي عرفها البشر على مر قرون طويلة. وفي هذا السياق، تساهم الدراما التلفزيونية بشقيها: الأفلام والمسلسلات دوراً كبيراً في تشكيل الصورة النمطية للمكان، وعندما يتعلق الأمر بالقدس فإن الصورة النمطية التي تقدمها الدراما الغربية وعلى رأسها هوليوود تختلف حد التناقض أحياناً مع شبيهاها في الشرق.

¹ أصل هذه الدراسة ورقة قدمت لمؤتمر (القدس في الأدب العالمي المعاصر) الذي أقيم في الجامعة الأردنية بالملكة الأردنية الهاشمية في الفترة 21-23 آذار/مارس 2017م.

تبحث هذه الورقة في الصورة التي تقدم عن مدينة القدس في الدراما المرئية الشرقية والغربية، وتم اختيار نماذج من أبرز أنواع الدراما المؤثرة في المنطقة العربية المحيطة بالقدس؛ وهي الدراما الأمريكية الممثلة بأفلام هوليوود التي تناولت مدينة القدس تاريخياً وواقعاً بل ومستقبلاً بصورة نمطية معينة، والدراما التركية التي تمثلها عدد من المسلسلات والأفلام التي تناولت القدس وإن بشكل غير مباشر، إضافةً إلى الدراما العربية التي تتربع على عرشها كل من الدراما المصرية والسورية سواء في الأفلام أو المسلسلات، حيث تم اختيار نماذج من أعمال درامية تلفزيونية محددة من كلٍ من هذه المصادر ودراستها من ناحية المقاربة التاريخية والواقعية، وكيفية تقديم صورة القدس ضمن العمل، مع دراسة كيفية تأثير ذلك على رسم صورة القدس لدى المتلقي وتشكيل هذه الصورة في وعيه.

وفي هذا السياق تم اختيار أعمال أساسية مهمة وتقسيمها على فترتين تاريخيتين هما فترة الحروب الصليبية وفترة الاحتلال الإسرائيلي الحالي؛ ففي فترة الحروب الصليبية تبرز ثلاثة أعمال مهمة هي: فيلم Kingdom of Heaven (مملكة الجنة) الأمريكي، وفيلم (الناصر صلاح الدين) المصري، ومسلسل (صلاح الدين الأيوبي) السوري. وأما على صعيد واقع القدس اليوم فتم تناول عملين مهمين هما: فيلم World War Z (الحرب العالمية زي) الأمريكي، وفيلم Kurtlar Vadisi Filistin (وادي الذئاب فلسطين) التركي.

الكلمات المفتاحية:

القدس، دراما، الحروب الصليبية، الاحتلال الإسرائيلي

مقدمة

لو قدر لكاتب سيناريو أن يختار أي مدينة فيحول تاريخها الطويل إلى فيلم درامي ملحمي، فلعله لن يجد خيراً من مدينة القدس التي اصطبغ تاريخها الطويل بالصراعات والحروب والنزاعات والسلام والحب والكراهة وغيرها من المشاعر الإنسانية المختلطة التي صبغت تاريخ هذه المدينة العريقة، ولذلك، فليس من الخفي على ذي لب أن تكون القدس وتاريخها وواقعها ومستقبلها مادةً خصبةً للدراما المرئية، بشقيها: الفيلم، والمسلسل، والتي تعد أحد أهم ميزات القرن العشرين وأحد أهم أساليب تشكيل العقل الجمعي من خلال الرسالة الإعلامية التي تبثها هذه المواد المرئية محاولةً إقناع المشاهد بوجهة نظر محددة يرغب كاتب السيناريو والمخرج أن يقنعه بها ويجوؤها من صورةٍ بصريةٍ متخيلةٍ - في أغلب الأحيان - إلى حقيقةٍ واقعيةٍ. وقد نجح الإعلام المرئي إلى حد كبير في ذلك، فساهم في تحويل الخيال إلى واقع، وأصبحت بعض الشخصيات الخيالية غير الموجودة فعلياً تعامل معاملة الواقع في بعض المجتمعات، لا سيما المجتمعات الغربية.

والدراما المرئية تشكل اليوم أحد أهم أعمدة الثقافة الشرقية والغربية، فعلى الصعيد الغربي، تتربع الدراما المرئية الأمريكية الممثلة بهوليوود على عرش الدراما البصرية المؤثرة في العالم كله، وبالتالي فإن تناول هوليوود لقضية شائكة عميقة مثل القدس لا بد وأن تثير اهتمام مئات الملايين من المتابعين حول العالم وتساهم إلى حد ما في تشكيل وعيهم تجاه هذه القضية. خاصة وأن القدس تمثل نقطة مركزية عميقة في ثنايا اهتمام نسبة كبيرة جداً من البشر اليوم ممن يدينون بأهمية هذه المنطقة، سواء المسلمون أو المسيحيون أو اليهود. وكذلك يمكن القول عندما يتعلق الأمر بالدراما الشرقية التي تتربع المصرية منها والسورية على عرشها، إضافةً إلى الدراما التركية التي شقت طريقها مؤخراً لتصبح في مصاف أعمال الدراما المهمة جداً والمثيرة للجدل والدراسة في بعض الأحيان.

هذه الدراسة تتناول قضية الصراع على القدس في بعض الأعمال الدرامية العالمية ضمن فترتين من أهم الفترات التي تستثير الدراسة والبحث في تاريخ القدس، وهي فترة الحروب الصليبية، والواقع الذي يشهد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة المقدسة، وتدرس المقاربات التاريخية والواقعية التي تقدمها هذه الأعمال مع مقارنتها بالمعلومات الواردة في المصادر التاريخية والواقعية الفعلية، في محاولة لفهم كيفية تأثيرها على المشاهد، ونوعية الرسائل التي تحملها هذه الأعمال.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسة تقتصر على الفترتين المذكورتين أعلاه بسبب وجود أعمال درامية مهمة ومعروفة ومؤثرة قدمت وجهات نظر مختلفة، ولذلك لم تتم دراسة أعمال درامية - على أهميتها - تناولت فترة القرن العشرين ورواية كيفية سقوط المدينة المقدسة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وذلك لعدم وجود أعمال درامية كبرى تعتمد روايتين مختلفتين، حيث يقتصر هذا الأمر على عملين دراميين اثنين هما المسلسل السوري (التغريبة الفلسطينية)، والمسلسل الأردني (القدس أولى القبلتين)، ولا نجد في الدراما الغربية ما يعطي وجهة نظر مختلفة، ولذلك لم تتم إضافة هذين العملين وتلك الفترة التاريخية إلى هذه الدراسة.

أولاً: تاريخ الحروب الصليبية

قدمت الدراما والسينما العالمية عدداً لا بأس به من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية التي تناولت فترة الحروب الصليبية كلٌّ من وجهة نظره، ولعل نوعية لجهة المنتجة والمنفذة للعمل الدرامي تنبئ عن نوعية وشكل هذا العمل والأفكار التي يطرحها ونوعية المقاربات التاريخية التي يركز عليها لإيصال رسالته الخاصة، وفي هذا المجال تبرز ثلاثة أعمال مهمة: الأول هو الفيلم الأمريكي Kingdom of

Heaven (مملكة الجنة)، والثاني هو الفيلم المصري (الناصر صلاح الدين)، والثالث هو المسلسل التلفزيوني السوري (صلاح الدين الأيوبي).

فيلم Kingdom of Heaven (مملكة الجنة)

أصدرت شركة Twentieth Century Fox Film Corporation المملوكة لشبكة Fox هذا الفيلم عام 2005 من إنتاج وإخراج المخرج الأمريكي (ريدلي سكوت)، وكتب السيناريو (ويليام موناغان)، وقام ببطولته كل من (أورلاندو بلوم) في دور باليان إبلين، و(إيفا غرين) في دور الملكة سيببلا، و(مارتون سوكاس) في دور الملك غي دولوزنيان، و(غسان مسعود) في دور صلاح الدين، و(بريندان غليسون) في دور رينو دوشاتيون، إضافةً لعدد آخر من الممثلين.²

هذا الفيلم ينتمي لفئة الأفلام الملحمية، وهو يسلط الضوء بشكل مباشر على حياة شخصية حقيقية من شخصيات الحروب الصليبية وهو باليان بارون إبلين، وإبلين في العصر الحديث هي قرية (بني) الفلسطينية المهجرة الواقعة ضمن قضاء الرملة.³ لكن المقاربة الدرامية لشخصية باليان في هذا الفيلم تحتوي على عدد كبير من المغالطات التاريخية ليس أقلها أن باليان لم يكن وحيد أبيه الذي جاء به من فرنسا بعد قصة تراجيدية تمثلت بانتحار زوجته ووفاته ولده كما بنيت حبكة الفيلم، لأن باليان كان عضواً معروفاً في عائلة باريزان بارون إبلين، وهو واحد من ثلاثة أخوة، منهم أخوه بلدوين الذي حاول بالفعل الزواج من الأميرة - آنذاك - سيببلا، أخت الملك بلدوين الرابع (المشهور في الأدبيات التاريخية باسم الملك المجذوم)، لولا أن والدتها رتبت زواجها من غي دولوزنيان القادم من فرنسا.⁴ بينما بنيت حبكة الفيلم الدرامية على فكرتين:

1- فكرة قدوم باليان من فرنسا لاستلام ميراث أبيه باعتباره وحيداً.

² Kingdom of Heaven, IMDB, <https://www.imdb.com/title/tt0320661/>, Date accessed 17/9/2016.

³ See Kletter, Raz and others. *Yavneh I: The excavation of the 'temple hill' repository pit and the cult stands*. 2010. Fribourg: Academic Press Fribourg, p. 4

⁴ See Edbury, Peter W. *John of Ibelin and the Kingdom of Jerusalem*. 1997. Woodbridge: The Boydell Press, p.10

2- فكرة وقوع باليان في حب الأميرة سيبلا التي أصبحت ملكة القدس، ثم اصطحابها معه إلى فرنسا ليعيشا معاً بعد سقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين واختيار الملكة التنازل عن الملكية.

هاتان الفكرتان الأساسيتان اللتان يقوم عليهما سيناريو الفيلم مغلوطنان كلياً! وهو ما يجعل الفيلم أقرب لفتنازيا تاريخية منه لفيلم يروي قصة حقيقية.

ويرى ماثيو ريتشارد شليم في نقده لهذا الفيلم أن هذا الفيلم يطرح أفكاراً ذات طابع سياسي معاصر، فهو وإن تغلف بفكرة الدعوة للتعايش والسلام بين أبناء الديانتين: الإسلامية والمسيحية، فإنه يروج بشكل أو بآخر للرؤية الاستشراقية للصراع على القدس، والتي تعتبر أن الحروب الصليبية لم تكن خطأ وإنما كانت تطوراً طبيعياً لا يصح أن يشعر الغربيون ناحيته بالذنب!⁵ كما أنه يأخذ على الفيلم محاولته تقديم صورة "غربية معاصرة" لصلاح الدين، يظهر فيها السلطان صلاح الدين بمظهر الرجل البراغماتي الذي يختلف عن الشخصوس الذين يميلون للتطرف في التزامهم بتعاليم الإسلام، والمتمثلين بشخصية (الملا) التي جسدها الممثل المصري خالد النبوي، والذين لا يفرق الفيلم بينهم وبين الشخصوس الذين يمثلون التطرف المسيحي وعلى رأسهم شخصيتا رينو دوشاتيون والملك غي دولوزنيان. كذلك فإن الفيلم يصور التفاهم التام بين شخصية صلاح الدين والملك بلدوين الرابع، حيث يحاول الفيلم أن يقدم صورةً لمدينة القدس المفتوحة لجميع الأديان في ظل الملك بلدوين الرابع المتفاهم تماماً مع صلاح الدين، وذلك يجعل الأمر يبدو وكأن تحرير بيت المقدس لم يكن الأولوية لدى صلاح الدين باعتبار عدم وجود مشكلة أصلاً في عهد الملك بلدوين الرابع، وتبدأ المشكلة فعلياً بعد وفاته وتولي الملك المتطرف دينياً غي دولوزنيان الحكم وتعاونه مع المتطرف دينياً أيضاً رينو دوشاتيون لإحداث بلبلة تؤدي إلى حرب مقدسة.⁶

هذه الصورة التي يقدمها الفيلم تغفل إلى حد كبير شخصية صلاح الدين الحقيقية كما نقلتها مختلف الكتب، فصلاح الدين كان شخصية ذات جذور دينية أصيلة، وكان تعامله مع قضية بيت المقدس - كما ينقل المقربون منه - تعاملاً يقوم على الأهمية الدينية

⁵ Schlimm, Matthew Richard. 'The Necessity of Permanent Criticism: A Postcolonial Critique of Ridley Scott's Kingdom of Heaven', in *Journal of Media and Religion*. (9:3). 2010, p. 131

⁶ Ibid, p. 140

للمدينة المقدسة، وعلى ضرورة تحرير المدينة من الاحتلال، وهو المشروع الذي قام حكم صلاح الدين على أساسه أصلاً. ولعل هذا ما جعله يستلم المدينة من باليان دون قتالٍ بعد تهديد باليان بتدمير المسجد الأقصى المبارك وقتل من بأيديهم من أسرى المسلمين وهم بضعة آلاف، أما الفيلم، فإنه يقدم صورة تحاول أن تربط بين فهم صلاح الدين لقيمة المدينة وفهم باليان في نفس الوقت، ففي مشهد تسليم المدينة على سبيل المثال يوجه باليان سؤالاً لصلاح الدين: (ما هي قيمة القدس؟)، فيجيب صلاح الدين: (لا شيء)، ثم يسير قليلاً ويلتفت مرة أخرى ويقول رافعاً يديه باتجاه وجهه: (كل شيء).⁷ وهو في هذا يتناغم تماماً مع موقف باليان - الذي لا يختلف في نظرتة للقدس عن نظرة صلاح الدين كما يصوره الفيلم - حين يعلن الاستعداد للدفاع عن القدس في وجه صلاح الدين، حيث يقول: (نحن ندافع عن هذه المدينة لا لنحمي الحجارة، بل لحماية الناس الذين فيها)⁸، فالقدس نفسها بجارتها - كما يصور الفيلم - لا تساوي شيئاً، لكن قيمتها تكمن في النفس البشرية التي تعيش فيها وتقدسها. والفيلم بذلك يحاول إعادة صياغة صورة صلاح الدين بشكل غربي حديث إلى حد ما، أو كما يسميه شليم "تغريب صلاح الدين"⁹، وبالتالي فإن الفيلم يخلص إلى نتيجة أن تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين لم يكن مسألة إحقاق حق أو عدلٍ برفع الظلم المتمثل في الاحتلال الصليبي بالدرجة الأولى! وإنما هو مجرد عملية طارئة تم فيها تحويل المدينة المقدسة من يدٍ إلى أخرى، بحيث يصور الحق في السيادة على المدينة للجهة التي تسيطر عليها بالفعل، وذلك من خلال جملةٍ يقولها باليان: (ما دامت هذه مملكة السماء، فليفعل الله بما يشاء).¹⁰

إضافةً إلى ذلك، فإن هناك رسالةً سياسيةً شديدة الوضوح ينتهي بها الفيلم في ربطٍ مباشرٍ بين أحداثه والوضع الحالي، حيث تظهر عبارة في نهاية الفيلم تقول: (والآن، بعد حوالي ألف عام من الحروب الصليبية، فإن الأرض المقدس لا تزال تعاني من الصراعات).¹¹ وهذه الرسالة تستثني عملياً مئات السنين من الهدوء في القدس بعد نهاية الحروب الصليبية حتى وقوعها تحت الاحتلال البريطاني عام 1917، ثم وقوع قسميها الغربي عام 1948 والشرقي عام 1967 تحت الاحتلال الإسرائيلي، فيبدو للمشاهد أن ما يراه اليوم ليس

⁷ Kingdom of Heaven. <http://www.youtube.com/watch?v=rhZC5FrYJLw>, mins: 2:48:10 - 2:48:40, Date retrieved: 29/4/2018

⁸ المصدر السابق، mins: 2:21:30 - 2:21:40

⁹ Schlimm, The Necessity of Permanent Criticism, p. 142

¹⁰ المصدر السابق، mins: 2:49:25 - 2:49:35

¹¹ المصدر السابق، mins: 3:00:36 - 3:00:47

إلا امتداداً طبيعياً للصراع على المدينة المقدسة، وأن الحق والعدل يقرره الله حسب موازين القوى! وهذا يعني بالضرورة أن وضع الاحتلال الحالي للمدينة المقدسة وضع طبيعي يأتي في السياق التاريخي الطبيعي!

هذه المقاربة التاريخية يمكن اعتبارها منقوصةً بشكل واضحٍ وتعبر عن محاولةٍ لخلط الأوراق لا لخدمة مشروع بعينه، ولكنها تشجع على تحييد النسبة الأكبر من البشر وهي غير المعنية مباشرةً بالصراع الحالي.

فيلم (الناصر صلاح الدين)

وزعت شركة لوتس فيلم المصرية هذا الفيلم عام 1963م، وهو من إخراج المخرج المصري (يوسف شاهين)، وكتب السيناريو كل من (يوسف السباعي) و(نجيب محفوظ) و(عبدالرحمن الشرقاوي). وقام ببطولته كل من (أحمد مظهر) في دور صلاح الدين، وحمدي غيث في دور (ريتشارد قلب الأسد)، وصلاح ذو الفقار في دور (عيسى العوام)، وأحمد لوكسر في دور (رينو ديشاتيون)، وليلى فوزي في دور (فيرجينيا)، إلى جانب عدد آخر من الممثلين.

يلاحظ في هذا الفيلم أنه لا يغطي قصة تحرير بيت المقدس على يد الناصر صلاح الدين بالدرجة الأولى، بل يركز أساساً على ما كان بعد تحرير صلاح الدين بيت المقدس، حيث يتحدث بالتفصيل عن الحروب بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد خلال الحملة الصليبية الثالثة التي أعقبت سقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين، وينتهي فعلياً مع مغادرة ريتشارد أرض الشام عائداً إلى إنجلترا.

ويمكن طرح العديد من التساؤلات حول الرواية التاريخية التي استند إليها هذا الفيلم، حيث أن الفيلم عانى من مغالطات تاريخية كبيرة ليس أقلها تركيزه على العروبة، واعتباره صلاح الدين عربياً بالرغم من كونه كردياً كما هو معروف، وتركيزه على كون قضية بيت المقدس في فترة الحروب الصليبية قضيةً عربية خالصةً، يكثر فيها قول صلاح الدين في التعريف بنفسه: (صلاح الدين، عبدالله، وخادم العرب)¹²، إضافةً لتسمية القدس باسم (أورشليم) أكثر من مرة على لسان صلاح الدين! وتصوير المدينة أنها مدينة مأهولة بالسكان العرب الذين يهاجمهم الصليبيون من الخارج يومياً، وهو أمر منافي للحقائق التاريخية. وكذلك تم اختراع شخصيات لا أساس لها في

¹² انظر: فيلم الناصر صلاح الدين، <http://www.youtube.com/watch?v=iabw8OeTjHg>، دق: 1:17:26 – 1:17:36 . تاريخ المشاهدة: 2018/4/28

التاريخ، كشخصية القائد الأيوبي المزعوم (عيسى العوام) وهو مسيحي الديانة! وشخصية (الفارسة لويزا دولوزيان قائدة الاستبائيين) التي تعاونت معه، علماً بأنه لا توجد شخصية بين قادة صلاح الدين بهذا الاسم أو الصفة، ولم يعرف عن صلاح الدين أن أيّاً من قادة جيشه كان مسيحي الديانة! ويبدو أن كاتب السيناريو استوحوا اسم (عيسى العوام) من شخصية عيسى التي ذكرها غير واحد من المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة، وهو سبّاح مسلم¹³ كان مسؤولاً عن توصيل الكتب والنفقات للمحاصرين في عكا أثناء حصار الفرنجة لها في بداية الحملة الصليبية الثالثة، وليس له أي علاقة بما ذكره الفيلم حول شخصيته. كما لا وجود في تاريخ الحروب الصليبية لفارسة باسم (لويزا دولوزيان) ولم يكن من عادة الصليبيين أن يعينوا لفرسان الاستبائية قائدة أنثى.

ولعل من المناسب الإشارة إلى أن توقيت إنتاج وعرض هذا الفيلم أتى مترافقاً مع صعود المد القومي العربي مع التيار الناصري في مصر في ستينات القرن العشرين قبل نكسة عام 1967م، ولعل هذا الفيلم كان يعتبر أحد أدوات الترويج للدعاية القومية العربية التي كانت ترفع شعار العروبة فوق الدين، وهو ما تمثله عبارة الناصر صلاح الدين لإحدى النساء في القدس عند دخولها: (إن الدين لله والوطن للجميع)¹⁴، وكذلك هو ما يبينه القائد عيسى العوام المسيحي في الفيلم أثناء نقاشه مع لويزا حيث يقول: (أنا عربي، مستحيل أن يعترف مسيحي مخلص بأخوة غرباء استعلموا الصليب كقناع لغزو بلاده)¹⁵. ويحفل الفيلم بمغالطات تاريخية كثيرة أخرى في سبيل إضفاء الشرعية على رسالته التي يحاول إعطاءها لا يخلو بعضها من السذاجة خاصة في تصوير شخصية صلاح الدين ودعوته ريتشارد قلب الأسد لزيارة القدس وزياراته المتكررة له، وحديثه دائماً عن القتال بالحب، وتشجيعه لريتشارد أثناء خروجه من القدس بين الهتافات الشعبية، إلى غير ذلك من الأحداث البعيدة عن الوقائع التاريخية التي تحدثت عنها المصادر التاريخية بين الطرفين، وفي المحصلة فإن هذا

¹³ (ومن نوادر هذه الوفقة ومحاسنها أن عواماً ((مسلماً)) كان يقال له عيسى ، وكان يدخل إلى البلد - يعني عكا أثناء حصار الفرنج لها - بالكتب والنفقات على وسطه - أي يربطه على وسطه - ليلاً على غرة من العدو ، وكان يعوم ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو ، وكان ذات ليلة شد على وسطه ثلاثة أكياس ، فيها ألف دينار وكتب للعسكر ، وعام في البحر فجرى عليه من أهلكه ، وأبطأ خبره عنا ، وكانت عادته أنه إذا دخل البلد طار طير عرّفنا بوصوله ، فأبطأ الطير ، فاستشعر الناس هلاكه ، ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد ، وإذا البحر قد قذف إليهم ميتاً غريقاً ، فاقتدوه - أي تفقدوه - فوجدوه عيسى العوام ، ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب ، وكان الذهب نفقة للمجاهدين ، فما رُئي من أدى الأمانة في حال حياته وقد أذاها بعد وفاته ، إلا هذا الرجل. وكان ذلك في العشر الأواخر من رجب أيضاً) ابن شداد، بقاء الدين يوسف بن رافع. *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*. 1994. القاهرة: مكتبة الخانجي. ط2، ص. 206-207

¹⁴ فيلم الناصر صلاح الدين، مصدر سابق، دق: 45:24 - 45:27

¹⁵ المصدر السابق، دق: 43:34 - 43:45

الفيلم يصور حروب ريتشارد قلب الأسد في الشام قائمًا على فهمٍ مغلوطنٍ فقط حول طريقة تعامل المسلمين مع المسيحيين هناك، بإيجاء من شخصية فرجينيا أرملة رينو دوشاتيون، وهي شخصية غير حقيقية كذلك، حيث أن رينو تزوج من ستيفاني ميلي أميرة مقاطعة "ما وراء الأردن" في ذلك الوقت. وعندما يقتنع ريتشارد ببراءة صلاح الدين من كل تلك التهم يعود لصوابه ويصبحان صديقين!

ولعل الطرف التاريخي الذي ظهر خلاله هذا الفيلم في مصر يؤكد أن الهدف من هذا الفيلم كان توجيه الرأي العام المصري تحديداً نحو ارتباطه بالقومية العربية تحديداً، وترويجاً للمبادئ التي أعلنها الرئيس المصري آنذاك جمال عبدالناصر، وجزءاً من عملية صياغة العقل الجمعي المصري تجاه الحركة القومية العربية، وليس فيه مقارنة سياسية نحو قضية القدس وأماكنها المقدسة التي كانت في وقت عرض الفيلم جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية.

مسلسل (صلاح الدين الأيوبي)

أنتجت مؤسسة (سورية الدولية للإنتاج الفني) هذا المسلسل وعرض عام 2001، وهو من إخراج المخرج السوري (حاتم علي)، وكتب السيناريو (د. وليد سيف)، وأدى أدوار البطولة فيه كل من جمال سليمان في دور (صلاح الدين الأيوبي)، وسوزان نجم الدين في دور (عصمت الدين خاتون)، وباسم ياخور في دور (نور الدين محمود)، وغسان مسعود في دور (القاضي الفاضل) وغيرهم، ويتكون المسلسل من ثلاثين حلقةً تمتد كل حلقةٍ منها ساعةً تلفزيونية.

يركز المسلسل على سيرة الملك الناصر صلاح الدين يوسف منذ صغره حتى تحرير بيت المقدس من الاحتلال الصليبي، وهو بذلك يتابع عهود ثلاثة ملوك ارتبطت أسمائهم بمشروع تحرير بلاد الشام من الصليبيين، وهم عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين يوسف. ويهتم المسلسل بوصف الأحداث التي أثرت في صلاح الدين وصاغت شخصيته كاستشهاد أخيه شاهنشاه أثناء حصار دمشق في الحملة الصليبية الثانية، وعلاقته الخاصة بعمه أسد الدين شيركوه ووصوله إلى مصر حتى توليه حكمها وإنهاء الخلافة الفاطمية، ثم تولي الحكم في جميع البلاد بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود، كما يسلط المسلسل الضوء على عدد من الأحداث المهمة التي حصلت في تلك الفترة، مثل فتح الرها على يد الملك عماد الدين زنكي، وكسرة الرملة، ومعركة حطين، وغيرها من

الأحداث التي شكلت مفاصل أساسية في سيرة السلطان الناصر صلاح الدين. وهو بذلك يمكن أن يعتبر سيرةً تاريخيةً تلفزيونية لمشروع تحرير بيت المقدس الذي بدأ بعماد الدين زنكي لا لشخص صلاح الدين فقط.

واللافت في هذا المسلسل اعتماده على رواية تاريخية صحيحة للأحداث، وقلة الأخطاء التاريخية فيه بشكل عام، حيث يعتمد أسماء شخصيات تاريخية واقعية في الغالب، وأما الشخصيات الخيالية فيه فتستند إلى معلومات صحيحة تاريخياً مثل شخصية (شيخ أحداث دمشق) الذي يقدم في المسلسل كشخصية خيالية تستند أساساً لفكرة وجود (أحداث دمشق) في تلك المرحلة من التاريخ. وهذا ما يجعل هذا المسلسل ذا قيمة علمية إضافة لقيمه الفنية.

ويلاحظ في المسلسل أنه يحاول إجراء مقارنة سياسية يضع فيها الاحتلال الفرنجي الصليبي في مقابل الاحتلال الإسرائيلي الصهيوني، وهذا الأمر يمكن فهمه في سياق الفترة التي أنتج فيها المسلسل، والتي شهدت بداية انتفاضة الأقصى التي انطلقت نهاية عام 2000م، ويبدو ذلك واضحاً في كثير من حوارات المسلسل، مثل الحوار المتخيل الذي يدور بين صلاح الدين والأمير بلدوين الصليبي بعد أسره، حيث يناقشه صلاح الدين في أحقية وجوده في هذه البلاد في حوار يستدعي الرواية الصهيونية الحالية في الصراع:

- صلاح الدين: (ما الذي جاء بك إلى هنا أيها الأمير؟)
- بلدوين: (ولدت هنا، فلا أعرف لي بلاداً غيرها)
- صلاح الدين: (ولكنه مصير محتوم طال الزمان أم قصر، ولا أحسبه يطول كثيراً بعد الآن، تلك سنة الحياة مع الغزاة الطارئين، كما النبتة لا تحيا في غير أرضها)
- بلدوين: (المصائر في الغيب يا سيدي، أما نحن فنعمل ما يمليه الواجب وما تفرضه علينا النذور، بالشجاعة التي تليق بالفرسان، والسلطان أحرى الناس بتقدير الشجاعة)
- صلاح الدين: (نعم أقدر الشجاعة، ولذلك أشفق عليها من أن تبذل في غير الحق... ولكن يجب أن تكون هناك أمور يتواضع عليها الخلق... ألا يخطر في بالك ولو للحظة واحدة أن هذه ليست بلادكم، إنما أخذت بالغزو؟ إن تكن أنت قد ولدت هنا، فمن أين جاء آباؤك؟ ومن أين يجيئكم المدد بين الفينة والأخرى؟ وفي المقابل، من أين يأتي جندنا؟ ألم تتساءل

يوماً ما الذي تتطلعون إليه في قابل الأيام ونحن اليوم أشد رفضاً لوجودكم عندنا؟ ألا يخطر لك أن عليكم أن تقتلونا جميعاً كي تطمئنوا؟ ومن نحن؟ نحن الشام والعراق وفارس وبلاد الجزيرة واليمن ومصر والمغرب، وكل تلك البلاد، فهل توهتم يوماً أنكم ستستطيعون القضاء على كل هؤلاء؟ أم توهتم يوماً أنهم سينزلون لكم عن بعض بلادهم؟ هذا إن أرضاكم البعض).¹⁶

ثم يستمر النقاش حول حرب الحق وحرب القوة، وهذا الحوار سياسي فلسفي بامتياز، حيث يرسل رسائل مباشرة تتعلق بتشبيه الاحتلال الحالي بالاحتلال الصليبي، ويصل المسلسل في ذروة التأصيل الدرامي لفكرة المواجهة بين الاحتلالين في المشاهد الأخيرة من المسلسل بعد تحرير بيت المقدس، حيث يستدعي الحوار الذي دار بين صلاح الدين والقاضي الفاضل في عسقلان حول الصليبيين حين يقول: (هذا البحر هو الذي حمل إلينا أولئك الغزاة الطامعين، ومنه سيعودون بإذن الله، هذا البحر هو بوابة الغزاة الطامعين وبوابة خروجهم، وقدّر الشام أن تحتل عن الأمة واجب حراسته ومنعه، ويقدر ما يكون العبء والمغرم، يكون الأجر والمغنم إن شاء الله)، ويتوافق هذا الجزء مع مشاهد لوصول المهاجرين اليهود إلى فلسطين عبر البحر الأبيض المتوسط، إضافة إلى صور لعمليات تهجير الفلسطينيين والمجازر الإسرائيلية المختلفة في فلسطين، ثم تظهر صور لخروج الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان، يتم ربطها مع مشاهد من انتفاضة الأقصى لتختتم بمشاهد عسكرية تبين مشاهد من حرب عام 1973 تنتهي براية النصر.¹⁷

هذه الرسالة السياسية المباشرة يقدمها المسلسل في آخر حلقاته ليبين فكرته من ربط الاحتلالين ببعضهما، في محاولة لتأكيد المصير نفسه للمشروعين، بمعنى آخر، نهاية الاحتلال الصهيوني كما انتهى الاحتلال الصليبي. ولا يخلو المسلسل من رسائل غير مباشرة تتعلق بسماحة المسلمين في تعاملهم مع الآخر في التركيز على مشاهد تسامح صلاح الدين مع الصليبيين خلال خروجهم من القدس، وتصل هذه الصورة إلى شيء من اللامعقول حين يصور المسلسل علاقة صداقة غير موثقة تاريخياً نشأت بين صلاح الدين وبالبيان بعد تسليم المدينة، لتنتهي المسألة بالمصافحة بين الطرفين، وهذا الأمر لم يرد في أي مصدر تاريخي، ومن الواضح أن كاتب السيناريو أراد منه أن يعطي صورةً وريئةً تؤكد على سلمية صلاح الدين وإن لم يكن بشكل مبتذل كما كانت الحالة في فيلم (الناصر صلاح الدين) الذي

¹⁶ انظر مسلسل صلاح الدين الأيوبي الحلقة 26، <http://www.youtube.com/watch?v=SFL0xkCjD9A>، دق: 28:25 – 30:32 ، تاريخ المشاهدة: 2018/4/28

¹⁷ انظر مسلسل صلاح الدين الأيوبي الحلقة 30 والأخيرة، <http://www.youtube.com/watch?v=CkexDgQj12M>، دق: 45:25 – 48:00 ، تاريخ المشاهدة: 2018/4/28

ورد ذكره آنفأً. لكن هذا المسلسل بشكل عام يمكن اعتباره أحد أفضل الاعمال الدرامية العربية التي تناولت قضية الحروب الصليبية وفتح بيت المقدس في عهد صلاح الدين بكثير من المصادقية وإن انحازت للرواية العربية الإسلامية لهذه الأحداث.

ثانياً: الواقع الفلسطيني والمقدس اليوم

لعل الواقع في مدينة القدس اليوم خصوصاً وفلسطين عموماً من أكثر ما يثير الحساسيات في التعامل معه من الناحية الإعلامية والفنية، فالقدس تخضع اليوم للاحتلال الإسرائيلي منذ أكثر من ستة عقود، والأماكن المقدسة في القسم الشرقي من المدينة تخضع لهذا الاحتلال منذ أكثر من أربعة عقود، والاحتلال الإسرائيلي مدعوم بآلة إعلامية قوية تتمثل في أغلب أفلام هوليوود الأمريكية، وهو أمر من الصعب إنكاره، ولذلك، فمن الصعب مشاهدة رواية غير منحازة لأي طرفٍ من أطراف الصراع في الدراما البصرية في الوقت الحالي، وفي هذا السياق، تم اختيار عملين سينمائيين يعطيان صورتين متناقضتين لهذا الواقع، وتحديدًا في السينما الأمريكية، والتركية. الأول هو الفيلم الأمريكي: World War Z (الحرب العالمية زي)، والثاني هو الفيلم التركي Kurtlar Vadisi Filistin (وادي الذئاب فلسطين).

فيلم World War Z (الحرب العالمية زي)

أصدرت شركة Paramount Pictures هذا الفيلم عام 2013 من إنتاج وإخراج المخرج الأمريكي (مارك فورستر)، وكتب السيناريو (ماتيو مايكل كارناهان) ومعه فريق، وقام ببطولته كل من (براد بيت) في دور محقق الأمم المتحدة غاري لين، و(ميريال إينس) في دور زوجته كارين، والممثلة الإسرائيلية (دانييلا كيرتيتس) في دور سيغان الضابط في الجيش الإسرائيلي، إضافةً لعدد آخر من الممثلين، وسيناريو الفيلم مبني على رواية باسم World War Z: An Oral History of the Zombie War (الحرب العالمين زي: التاريخ الشفوي لحرب الأموات الأحياء) للكاتب الأمريكي ماكس بروكس.

هذا الفيلم ينتمي لفئة أفلام الرعب والخيال العلمي، وهو لا يتحدث بشكل مباشر عن الواقع في القدس، إلا أنه يدخل الواقع الحالي في القدس ضمن السيناريو من خلال بعض العناوين الصارخة مثل الجدار العازل في القدس وموضوع السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين وعقيدة الجيش الإسرائيلي وغيرها من العناوين التي يبرز من خلالها وجهة نظر يقدمها للمشاهد تتعلق بالواقع في القدس.

تدور أحداث الفيلم حول وباء خيالي يصيب البشر يجعلهم أشبه بالأموات الأحياء في تحركاتهم وشديدي العدوانية، ويقوم المحقق التابع للأمم المتحدة (غاري لين) بالتوجه بطائرة عسكرية إلى عدة دول حول العالم أهمها كوريا الجنوبية وفلسطين وإيرلندا في محاولة للوصول إلى أصل هذا الوباء وإيجاد حل له. وخلال وجوده في إحدى القواعد العسكرية الأمريكية في كوريا يلتقي بأحد ضباط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA الذي يخبره إن الوحيدين الذين عرفوا عن الوباء قبل انتشاره هم الإسرائيليون، وأنهم قاموا بإحاطة القدس بالكامل بجدار عازل ضخم لمنع المصابين بالوباء من الدخول إليها، وبالتالي فقد أصبحت منطقة آمنة، ويرشده للقاء مدير الموساد الإسرائيلي المسؤول عن الدفاعات الإسرائيلية في وجه الوباء.

وعند الوصول إلى القدس، تتبع الكاميرا صوراً توضح كون الفلسطينيين والإسرائيليين يعيشون معاً في المدينة بحماية الجيش الإسرائيلي، وتظهر صور مطابقة تماماً للجدار العازل الحالي في القدس، وتظهر في إحدى اللقطات صورة لمجموعات من الفلسطينيين يدخلون إلى داخل القدس عبر ممرات خاصة بحماية الجيش الإسرائيلي للوصول إلى المنطقة الآمنة ويحتلونها بالإسرائيليين في سلام.

ومن اللافت للنظر، أن المشهد التالي يظهر شابة فلسطينية تمسك بميكروفون ثم تبدأ الغناء بكلمتي (سلام) بالعربية و(شالوم) بالعبرية، وينضم إليها عدد من الناس رافعين الأعلام الفلسطينية والإسرائيلية، وهذا الغناء يجعل المايكروفونات والسماعات ترفع الصوت كثيراً، وهو ما ينبه المصابين بالوباء خارج الجدار، فيتسلقون الجدار العازل فوق بعضهم البعض بعنف وينقضون على القدس وينتشر الوباء في المدينة بسرعة وتسقط مما يدعو المحقق غاري للمغادرة بسرعة وسط مشاهد الذعر والرعب في كل مكان بصحبة الضابطة الإسرائيلية سيغان.

ومن الوهلة الأولى لمشاهدة هذه الجزئيات في الفيلم يبدو واضحاً أن الفكرة التي يقدمها تختلف تماماً عن الواقع في المدينة المقدسة تحت الاحتلال الإسرائيلي، فهو يقدم صورةً رومانسيةً للجيش الإسرائيلي الذي يعتبره الفيلم حامي مدينة القدس وسكانها كافةً، بل وسكان

المناطق الفلسطينية المحيطة بها، وهو أمر منافٍ للواقع السياسي والاجتماعي في القدس اليوم. كما أنه يتم تقديم الجدار العازل في القدس بصورة إيجابية، وهذا يبدو واضحاً في إحدى حلقات الحوار حوله بين بطل الفيلم وضابط وكالة الاستخبارات الأمريكية، الذي يقول له:

- الضابط: لماذا تفوز إسرائيل؟
- غاري: كيف تفوز إسرائيل؟
- الضابط: لقد سيجوا بلادهم بالكامل [بجدار] قبل أيام فقط من مهاجمة الأموات للبشر.. أول من عرف، وأول من تحرك.
- غاري: هؤلاء الناس بينون الجدران هناك منذ ألفي سنة.
- الضابط: نعم، صحيح، ولكنهم انتهوا من كل هذا العمل الذي استمر آلاف السنين قبل أسبوع فقط، فالتوقيت المناسب هو كل شيء.¹⁸

نلاحظ في النص إبراز الضابط لفكرة أن بناء الأسوار في القدس استمر على يد الإسرائيليين وأجدادهم منذ ألفي سنة، وهذه مغالطة تاريخية، إذ إنه يرجع فكرة وجود الجدار العازل في القدس نفسها إلى زمنٍ قديمٍ أساساً، وهذا غير صحيح، إذ لم يسبق أن بنيت جدران عازلة على يد بني إسرائيل على سبيل المثال قديماً.

كما أن فكرة كون الجدار العازل بني لأجل حماية المدينة المقدسة هو عين ما تحاول الدعاية الإسرائيلية تصويره في الخارج، ولذلك فهو يسمى في الأدبيات الإسرائيلية (غلاف القدس)، والفكرة التي يقدمها الفيلم لا تتعد عن هذا التصور، بل إنها تقدم فكرةً سياسيةً وهي أن سبب بناء الجدار بالدرجة الأولى كان بعد اعتراض الموساد الإسرائيلي مكالمته في الهند تتحدث عن الوباء، وذلك لحماية المواطنين والمدينة المقدسة، وبالتالي فإن فكرة "الحماية" المرتبطة بالجدار العازل في القدس هي ما يكرسها الفيلم.

¹⁸ World War Z – CIA Agent, <http://www.youtube.com/watch?v=qjr7hZD3DKo>, mins: 2:18 – 2:48, Date retrieved: 29/4/2018

إضافةً إلى ذلك، فإن المشاهد لهذا الفيلم تتكسر لديه نظرية المظلومية اليهودية متمثلةً في حديث مسؤول الموساد الإسرائيلي لبطل الفيلم الذي يستدعي التاريخ الحديث في القرن العشرين من خلال ثلاثة أحداث هي الهولوكوست النازية، وعملية ميونخ عام 1972، وحرب رمضان أكتوبر 73، حيث يقول:

- في الثلاثينات رفض اليهود أن يصدقوا أنهم يمكن أن يُرسلوا إلى معسكرات النازية، في عام 1972 رفضنا أن نفهم أنه ستنفذ فينا مجزرةً في الأولمبياد، وفي الشهر الذي قبل أكتوبر 1973، رأينا تحركات القوات العربية، ولكننا أجمعنا على أنهم لم يشكّلوا خطراً، لكن بعد شهر واحد كاد الهجوم العربي يلقي بنا في البحر، ولذلك قررنا أن نصنع تغييراً.¹⁹

في نفس الوقت، فإن الفيلم يقدم مفارقةً غريبة حين يؤدي غناء الفتاة الفلسطينية للسلام عبر الميكروفونات برفقة بعض دعاة السلام إلى سقوط المدينة بيد المصابين بالبواب وتدميرها! وهي مفارقةً ينبغي أن ينظر لها بعين الاعتبار خاصةً أنها تعطي صورةً سلبيةً لفكرة السلام نفسها في نفس المشاهد، فتجد المشاهد يعتبر أن هذا الموقف نفسه هو ما يؤدي إلى سقوط المدينة المقدسة، وهذه مفارقةً في غاية الغرابة.

بالتالي يمكن القول إن هذا الفيلم يتبنى وجهة النظر الإسرائيلية اليمينية في عدة محاور على رأسها الجدار العازل الذي أعلن عنه رئيس الوزراء الإسرائيلي اليميني السابق أريئيل شارون عام 2001، وغيرها من القضايا كالسلام على سبيل المثال، ويكمن الجانب الأكثر أهمية في هذا الإطار في كون وجهة النظر المذكورة تقدم ضمن إطار فيلم رعب من أفلام الخيال العلمي وليس ضمن فيلم سياسي، وبالتالي فإن أفكاره تطرح بشكل غير مباشر، بحيث يصبح مشهد الجدار العازل في نظر المشاهد للفيلم مرتبطاً بفكرة الخلاص والحماية وليس بفكرة الفصل العنصري التي تقدمها الرواية الفلسطينية للموضوع.

فيلم Kurtlar Vadisi Filistin (وادي الذئاب فلسطين)

19 10th man theory, the God of devils advocate, <http://www.youtube.com/watch?v=AcNK7M2eCI4>, mins: 1:15 - 1:40, Date retrieved: 29/4/2018

أصدرت شركة Pana Film التركية هذا الفيلم عام 2011 من إخراج المخرج التركي (زبير شاشماز)، وكتب السيناريو وأنتج الفيلم أيضاً (راجي شاشماز)، وقام ببطولته كل من (نجاتي شاشماز) في دور رجل المهمات العسكرية الخاصة التركي بولات علمدار، و(إردال بيشيكجي أوغلو) في دور الضابط الإسرائيلي موشيه بن اليعيزر، و(نور فتاح أوغلو) في دور الصحفية اليهودية الأمريكية سيمون، إضافةً لعدد آخر من الممثلين.

وهذا الفيلم من فئة أفلام الحركة (أكشن)، وهو إحدى سلاسل الدراما البصرية التركية (وادي الذئاب)، وهي تتكون من مسلسل عرض سابقاً حتى موسمها العاشر، وعدة أفلام بنفس الاسم وهي (وادي الذئاب فلسطين)، و(وادي الذئاب العراق)، و(وادي الذئاب سورية) و(وادي الذئاب الوطن)، وهي سلسلة تلفزيونية وسينمائية ذات شعبية كبيرة في تركيا وفي العالم العربي، حيث تمت دبلجة هذه السلسلة إلى اللغة العربية بعدة لهجات وعرضت على عدد من محطات التلفزة العربية، كما أن سلسلة الأفلام عرضت في دور السينما في تركيا وحققت شعبية كبيرة.

يستعير هذا الفيلم أحداث الهجوم الإسرائيلي على سفينة مرمرة التركية عام 2010م، والتي أسفرت عن قتل القوات الإسرائيلية سبعة مواطنين أتراك، وأثارت أزمة دبلوماسية بين الحكومتين، حيث تقوم حكومته على تنفيذ بولات علمدار قراراً تركياً بالتخلص من الضابط الإسرائيلي المسؤول عن إعطاء الأمر بتنفيذ عملية الهجوم على السفينة ثأراً للمواطنين الأتراك الذين قتلوا في هذه العملية، وتقدم الشخصية الإسرائيلية المسؤولة عن ذلك باسم (موشيه بن إيعازر) وهو شخصية خيالية.

ومن خلال الأعمال العسكرية والحربية التي يقوم بها بولات علمدار وفريقه الصغير ومشاهد الحركة والهجوم في خلال الفيلم يتم تقديم رواية أقرب للرواية الفلسطينية المتعلقة بالاحتلال الإسرائيلي، ويتم تصوير مشاهد بداية وصول بولات علمدار إلى القدس للبحث عن موشيه بن إيعازر في القدس، وفي هذه المشاهد نلاحظ الصورة السلبية للجنود الإسرائيليين الذين يستفزون المواطنين المقدسيين باستمرار، ويتعاملون مع الجميع بوقاحة لا يسلم منها حتى الصحفية الأمريكية اليهودية سيمون، والتي لا ينفعها التذكير الدائم بحقوق الإنسان وبكونها مواطنةً أمريكية.

ويعرض الفيلم في سرد المعاناة الفلسطينية بشكل واضح في الحوار الذي يدور حتى بين أفراد العائلة الفلسطينية أنفسهم في مجالسهم، بحيث يتحدثون باستمرار عن تدمير البيوت الفلسطينية وإجراءات القمع الإسرائيلية ومنع التجول وإطلاق الرصاص الحي وقتل الناس باستمرار، وفي بعض المشاهد يلمس المراقب مبالغة في تسويق فكرة ممارسات الاحتلال القمعية، بحيث نجد على سبيل المثال أن موشيه بن إيعازر يامر بهدم منزل فوق طفل مقعد بشكل متعمد، ويتعمد قتل جدته، وفي مشهد آخر يطلق النار على مواطن فلسطيني داخل سيارته لاختبار نوع جديد من الرصاص! كما أن بعض سطور الحوار بين الشخصيات الإسرائيلية تتميز بالدعاية السلبية الواضحة إلى حد السداحة عند الحديث عن عدم الالتزام بقرارات الأمم المتحدة وأهمية بناء ما يسمى "إسرائيل الكبرى" وغيرها من النقاط التي تطرح وجهة نظرٍ منحازةً للرواية الفلسطينية بل وتزيد على الرواية الفلسطينية أحياناً، من خلال تصوير أحداث لا تحصل في العادة في فلسطين.

ويبدو أن الحدة الشديدة في الفيلم تجاه تصوير الطرف المحتل ومبالغته في إبراز الجانب المظلم من حياة الفلسطينيين في فلسطين يأتي كتوجيه مباشر للمشاهد نحو الاهتمام بمعاناة الفلسطينيين وإبراز بشاعة الاحتلال وإجراءاته، وذلك لا يبدو بعيداً عن كونه ردة فعلٍ لأحداث سفينة مرمرة التي حصلت قبل شهور فقط من إطلاق الفيلم.

لكن اقتصار الفيلم على تصوير الواقع المقدسي والفلسطيني ومعاناة الإنسان الفلسطيني تحت الاحتلال في جانبه العسكري المتمثل بالقتل المستمر وسياسة هدم البيوت قد ينظر إليه كنوع من المبالغة في تصوير نوعية المظلومية الفلسطينية، فالمسألة في الفيلم تبدو وكأنها لست احتلالاً بقدر ما هي قضية قتل وهدم وذبح! ويظهر بوضوح أن الفيلم يتبنى فكرة اقتصار الاحتلال الإسرائيلي على المناطق التي احتلت عام 1967م، ففي أحد المشاهد ينظر أحد أفراد فريق بولانت علمدار إلى خريطة للضفة الغربية تبدو فيها المستوطنات، ويبدو ما حاذها من مناطق فلسطين التي احتلت عام 1948 فارغة، فيسأل أحد الفلسطينيين: (أين فلسطين وأين إسرائيل؟) فيشير للفلسطيني إلى الضفة الغربية باعتبارها فلسطين، ويشير إلى المناطق المحاذية لها والتي تقع داخل الأراضي المحتلة عام 1948 باعتبارها إسرائيل.²⁰ وبذلك فإن الصورة تبدو في الفيلم وكأن دولة إسرائيل قد احتلت دولة فلسطين عام 1967! وهذا ما يهمل قضايا كبرى

²⁰ انظر kurtlar vadisi filistin, <http://www.dailymotion.com/video/x5ekirz>, mins: 56:20 – 56:30, Date retrieved: 29/4/2018

ضمن القضية الفلسطينية على رأسها قضية اللاجئين الذي يرجع أغلبهم للمناطق التي احتلت عام 1948، ويقصر القضية الفلسطينية بالتالي على مسألة تعمد قتل المدنيين وهدم بيوتهم.

إلا أن الفيلم هنا يحاول التأكيد على كون القدس جزءاً من الجانب الذي تم احتلاله، وليست بالتالي جزءاً من دولة إسرائيل، ففي مشهد وصول بولانت علمدار إلى القدس (وبالمناسبة يتم تصوير المكان على أنه في البلدة القديمة بالقدس)، يسأله الضابط الإسرائيلي عند الحاجز: (بولانت علمدار، لماذا أتيت إلى إسرائيل؟) فيجيب: (لم آت إلى إسرائيل، أنا أتيت إلى فلسطين)²¹، وهذا ما يوضح نقطة أساسية يحاول الفيلم التركيز عليها فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وهي أن القدس تحت الاحتلال وليست جزءاً من دولة إسرائيل.

الخلاصة

من خلال هذه الدراسة النقدية يتبين أن مسألة الصراع على مدينة القدس بشكل خاص، وفلسطين بشكل عام أخذت اهتماماً لا بأس به في الدراما البصرية سواء كانت منها السينمائية أو التلفزيونية، وتبرز في هذه الدائرة مرحلتان شديدتا الحساسية هما مرحلة الحروب الصليبية والاحتلال الإسرائيلي الحالي. ومن خلال التركيز على خمسة أعمال مهمة من أربعة بلدان هي أمريكا ومصر وسورية وتركيا، ودراسة كيفية تقديمها للمرحلتين التاريخيتين بشكل متناقض أحياناً، يمكن القول إنه على صعيد تقديم فترة الحروب الصليبية في الدراما، تبدو الدراما السورية أنجح في الالتزام بالسياق التاريخي للأحداث في ذلك الوقت، حيث لا تميل إلى اختراع أحداثٍ خدمةً للحبكة الدرامية كما الحال في السينما الأمريكية، كما لا تميل إلى اختراع شخصيات وقصص خيالية تغير الأحداث التاريخية كما هو الحال لدى السينما المصرية، وبالتالي فإن الدراما السورية التاريخية تصلح تلخيصاً وتجسيداً لوجهة النظر التي تقدمها الكتب التاريخية العربية المعاصرة للأحداث، بينما تفرد السينما الأمريكية بقدرتها على استخدام المؤثرات البصرية المبهرة في تصوير الحدث، لكنها تعتبر متأخرة في طريقة تقديم الحدث التاريخي بحيث تغير السياق التاريخي بعينه خدمةً لفكرة الإبحار والتشويق. وفي هذا السياق يمكن القول إن السينما المصرية تعتبر الأضعف في تعاملها مع هذه المرحلة التاريخية على مختلف الصعد.

²¹ mins: 6:23 – 6:29 ، المصدر السابق

أما فيما يتعلق بالواقع الفلسطيني والمقدسي، فإن التناقض يبدو واضحاً وشاسعاً بين ما تحاول السينما الأمريكية والتركية تقديمه حول قضية القدس والروايتين: الإسرائيلية والفلسطينية فيما يتعلق بإجراءات الاحتلال ووضع السكان تحت الاحتلال، ففي حين نرى الصورة في الحالة الأمريكية منحازةً بالكامل للرواية الإسرائيلية، نراها منحازةً بالكامل للرواية الفلسطينية - بل وبأكثر مما تقدمه الرواية الفلسطينية نفسها - في الحالة التركية. لكن يمكن القول إنه بين جميع الأعمال التي تمت دراستها تعتبر السينما الأمريكية الأبرز في أسلوب توصيل الرسائل غير المباشرة للجمهور، بحيث تمتلئ المشاهد البصرية والحوارات بالإشارات غير المباشرة إلى الرواية الإسرائيلية المتعلقة بالواقع المقدسي، وهي نقطة ينبغي فهم أهميتها، حيث أن الرسائل غير المباشرة قد تكون أبلغ في توصيل الفكرة التي يرغب صاحب العمل بتوصيلها مما لو كانت رسائل مباشرة قد تبدو ساذجةً أحياناً، مما قد ينعكس سلباً على المتلقي واقتناعه بالفكرة التي يقدمها العمل الدرامي.